

الواجب نحو من يظهر سلبيات الدعاة دون ذكر حسناتهم

وسئل فضيلة الشيخ: كيف نتعامل مع شباب نهجوا المنهج التشهيري والظعن في إظهار السلبيات فقط في بعض الدعاة وطلبة العلم، بحجة أنهم مبتدعة فلا تذكر حسناتهم، بل تذكر سيئاتهم للتحذير منهم؟ فأجاب: نقول: إن هؤلاء قد ضلوا كثيرا، وقد أخطئوا في فعلهم هذا، حيث إنهم لا يذكرون الحسنات؛ بل يقتصرون على السيئات. ثم أيضا إذا نظرنا في تلك السيئات لم نجد لها سيئات، كما يزعمون؛ بل هي حسنات واضحة، فلا يمكن أن تكون سيئة واضحة فيها ضرر على مسلم ملتزم بالإسلام أبدا، ولم نقرأ في كتاب من كتب هؤلاء الدعاة مقالة واضحة فيها ضرر على مسلم، لا في عقيدته ولا علمه، ولكن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يحذرون من الأخطاء أو من السيئات، لا ندري كيف عثروا على تلك السيئات؟! فهم في الحقيقة يحملون الكلام ما لا يحتمله، ويحملون الجملة على محمل بعيد جدا، ويتكلفون في الظعن على تلك الجملة، ولو كانت بعيدة عما يقصدونه، وقد ثبت عن بعض السلف أنه قال: "لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملا". فإذا كانت تلك الجملة محتملة لعشرة احتمالات منها احتمال واحد حق، وباقي الاحتمالات خاطئة، حملناها على الاحتمال الذي هو حق، وتركنا الباقي لإحساننا الظن بقائلها، ولمعرفتنا بأنه لا يقصد إلا نصح الأمة، والتحذير من الأضرار التي تفتك بالأمة، والتي إذا تمكن أهلها أضروا بالعالم الإسلامي عامة، فنقول لهؤلاء: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟ نحن معكم على أن تأتوا بالكتاب كله ونبين لكم خطاكم وبعد إدراككم. وكذلك هاتوا الأخطاء التي تزعمون كلها، ونبين لكم ما قيل كلامكم هذا وما بعده، وأنكم فہمتم خطأ. ثم أنتم أيضا تخطئون خطأ آخر وهو كونكم تكتمون الحق، وتكتمون المحاسن، وتكتمون الحقائق، ولا تنشرون حسنة من الحسنات، وتقتصرون على المساوي التي تظنون أنها مساوي وهي بعيدة عما ظننتم. وكذلك أيضا الواجب على العاقل المنصف أن يذكر الحسن والسيئ، فيذكر هذا إلى جانب هذا، حتى لو قدر أن هذا سيئ، وأنه كما يقول: إنه خطأ وبعد عن الصواب، فعليه أن يذكر الأمرين جميعا، فيقول: هذه محاسنه، وهذه مساوئه، فبين ما له وما عليه. فأهل الإنصاف وأهل السنة يذكرون ما لهم وما عليهم، وأما أهل الضلال وأهل الباطل، فإنهم يقتصرون على ما لهم ويذكرونه ويوضحونه ويبينونه وبشراحونه، وأما الذي عليهم فإنهم يكتمونه: كمثل اليهود الذين عابهم الله بقوله -تعالى- { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . ونعلم أيضا أن الإنسان ليس بمعصوم من الخطأ وأنه عرضة له، ولكن يجب إذا لوحظ عليه خطأ أن يبحث معه، فيقال: إنك أخطأت في كذا وكذا، فبين له. ونحن نعرف أن كثيرا من المشايخ والدعاة إذا أوقفوا على خطأ وتحقق لهم أنه خطأ فإنهم يرجعون عنه إن شاء الله، لأن هدفهم الحق وقصدتهم الذي قصدوه مقصد صالح حسن إن شاء الله. ثم نعرف أيضا أن العالم أو الداعية مجتهد له أجر على اجتهاده، وإذا قدر أنه أخطأ فإنه مغفور له بجانب حسناتهم التي اشتهرت، والتي ظهرت للعالم عموما في أرجاء البلاد. فتغفر الزلات بجانب تلك الحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وقد ثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: { إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران -يعني على اجتهاده وإصابته- وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر } أخرجه البخاري برقم (7352) ومسلم برقم (1716) من حديث عمرو بن العاص -رضي الله عنه-. فهم مجتهدون فإن أصابوا فاجر الإصابة وأجر الاجتهاد موفر لهم إن شاء الله، وإن أخطئوا فخطؤهم مغفور ولهم أجر على اجتهادهم، ونعتقد أنهم إذا بين لهم أن هذا خطأ فلا بد وأن يظهر الاعتراف والرجوع إلى الحق. فنقول: متى وقفتم معهم على مجادلة وبيئتم لهم؟ أنتم أيها الذين تضللون وتطعنون فيهم، هل اجتمعتم بهم في مجلس وناقشتموهم، وقتلتم هذا خطأ؟! هل اجتمعتم أيضا بغيرهم ممن هو على نهجهم وناقشتموهم مناقشة؟! أما كونكم تخوضون في مجالس العامة، وتشهرون بأخطائهم وتذكرونها وتحذرون منهم، وتشهرون بأسمائهم بأنهم ضلال وبأنهم وبأنهم. فإنكم لن تصلوا إلى عشر معشار ما وصلوا إليه، ولا حظ لكم في المنزلة التي أنزلهم الله إياها من المكانة في نفوس الناس، ولكن استروا أنفسكم كما يقول بعضهم: ثكلتكم يا أجهل الناس فاستروا مخازيكم لا تكشفوها فتشتهر متى كنتم أهلا لكل فضيلة متى كنتم حربا لمن حاد أو كفر متى دستم رأس العدو وبفيلق وقنبلة أو مدفع يقطع الأثر تعيبون أشياخا كراما أعزة جهابذة نور البصيرة والبصر فهم بركات البلاد وأهلها بهم يدفع الله البلبا عن البشر